

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

محاضرات في مقياس النثر العربي الحديث

المستوى :سنة أولى ماستر
الميدان : اللغة و الأدب العربي
الشعبة : دراسات أدبية
التخصص:أدب حديث و معاصر

السنة الجامعية :2020/2019

عناوين المحاضرات :

- 1-عوامل النهضة العربية الشاملة
- 2-مدخل للنثر العربي في العصر الحديث
- 3-الخطابة في الأدب العربي الح
- 4-فن المقال

5-فن القصة

6-المسرحية في الأدب العربي الحديث

عوامل النهضة العربية الشاملة

النهضة لغة :

النهوض : البراح من الموضع والقيام عنه، نهض ينهض نهضا و نهوضا و انتهض أي قام، و انتهضته فانتهض وانتهض القوم و تناهضوا:نهضوا للقتال.

وأنهضه:حركه للنهوض,و استنهضه لأمر كذا إذا أمرته بالنهوض له, و ناهضته أي قاومته ,و تناهض القوم في الحرب إذا نهض كل فريق إلى صاحبه، و نهض النبت إذا استوى, وأنهضت الريح السحاب: ساقته و حملته.

والنهضة:الطاقة و القوة,و أنهضه بالشيء قواه على النهوض به.

والنهضة: بسكون الهاء: العتبة من الأرض تبهر فيها الدابة أو الإنسان يصعد فيها من غمض, و الجمع نهاض.¹

النهضة العربية في المفهوم الاصطلاحي:

¹ -ابن منظور,لسان العرب,تح:عبد الله علي كبير و آخرون،، دارالمعارف, القاهرة ,دت,ط,ص560

النهضة مصطلح تاريخي يعود إلى حركة عمت البلاد العربية بين سنتي 1820 و 1914، ويشير هذا المصطلح إلى تنبه العرب إلى ماضيهم و إدراكهم واقعهم المتخلف , و سعيهم لإحياء الماضي بما فيه من أصالة و تراث عربي إسلامي , مع العمل على تجاوز التخلف من أجل بناء مستقبل أفضل ، وهي إلى جانب ذلك تبدل جذري إيجابي يصيب المجتمع في شتى بناه الثقافية و الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية ...

حالة البلاد العربية قبل عصر النهضة:

انطوى الشرق على نفسه بعد الحروب الصليبية على نفسه زمنا طويلا, و أغلق على نفسه إغلاقا يكاد يكون شاملا , فلم يجد في ذاته إلا فقرا و إعداما معنويا ,ولمّا بدأ الغرب في الق رنين الخامس عشر و السادس عشر يضع أساس نهضته في العلوم و الفنون و السياسة و الاجتماع و غيرها ,ظل الشرق يقلد حياته الأولى من غير روح و يعيش على الثقافة القديمة بع د أن صارت تماثيل و مجرد قضايا لاكتها الألسن قديما ، فساءت الأحوال السياسية و الثقافية و الاجتماعية في هذا العصر الذي يسبق العصر الحديث في شتى الربوع العربية و خاصة في بلاد مصر، و مرد ذلك إلى الفوضى التي صاحبت الحياة الاجتماعية و السياسية إبان حكم المماليك و الأتراك، و هكذا كان حال الأدب العربي في شعره و نثره راكدا يخلو من الحياة ، و ينتهى في أزجال شعبية و أحاجي نحوية و أعايب لفظية و عددية ,يعمد فيه الشعراء إلى تجويد ألفاظهم وتنميق عباراتهم، و تتراءى فيه حياة الأمة التي ساءت حالها على جميع الأصعدة ، ولأن الحكام آنذاك لم يكونوا ممن يستسيغون الشعر ويتذوقونه و يشجعون عليه,فقد انصرف الشعراء إلى مجالات أخرى طلبا للرزق بدلا عن الشعر . يقول حامد حفني داود في هذا الشأن : " كان الشعراء قلة و كانوا شعراء شعب لا شعراء بلاط أو ديوان و ندر الموجودون منهم , وانحط الذوق الأدبي بسبب انتشار الألفاظ التركية في ثنايا اللغة العربية و لا سيما العامية منها,ولم يكن ذلك بالأمر الغريب لأن اللغة الرسمية في ذلك الوقت كانت التركية"².

تلكم باختصار شديد كانت حال البلاد العربية قبيل عصر النهضة التي لم يكن فيها ما يساعد على النهوض , فكان لا بدا من نور غريب ينير الأذهان , ويرفعها إلى مستوى المجاري الفكرية والأدبية العالمية , وكما أن الشرق أنار أوروبا في أيامها المظلمة فكذلك استعان الشرق بأوروبا في عهد انحطاطه, ليبنى صرح نهضته الحديثة ,

² -حامد حفني داود, تاريخ الأدب العربي الحديث ,تطوره , معالمه الكبرى و مدارسه, ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993، ص15.

فمن احتكاك الشرق بالغرب ستنبعث الشرارة الأولى التي ستشرق في العالم العربي، وتغير طريق العقول إلى رقي واسع في ميادين الفكر و الثقافة و الأدب . و قد كان هذا الاتصال بالغرب أقدم عهدا في لبنان منه في سائر البلاد العربية.

عوامل النهضة العربية في العصر الحديث:

ليس من السهل علينا أن نلم بصورة دقيقة بالعوامل التي أدت إلى ظهور النهضة العربية الحديثة, كما أنه يصعب علينا التسليم دون مناقشة بالدور الأساسي أو الوحيد لعامل من بين كل تلك العوامل التي سنأتي على ذكرها لاحقا، وإن اعتبر الكثير من الدارسين أن احتكاك الشرق بالغرب يأتي في مقدمة تلك العوامل و أعمقها تأثيرا، و قد ظهر هذا الاحتكاك بنوع خاص في بدايات القرن السادس عشر في لبنان عن طريق تشجيع البعثات الأوروبية إلى لبنان خاصة في عهد السلطان فخر الدين أمير لبنان الأكبر (1572-1635)، كما تأسست في روما و باريس و غيرها من كبريات المدن الأوروبية مدارس لتعليم أبناء الشرقيين و لا سيما اللبنانيين منهم, و قد تخرج من تلك المدارس طائفة من أرباب العلم و المعرفة و الثقافة، نذكر منهم إبراهيم الحاقلاني و بطرس مبارك و يوسف سمعان السمعاني الذي ترجم الكثير من الآثار الشرقية إلى اللغات الأوروبية ، و طائفة أخرى من الأسماء التي لمعت و ذاع صيتها و كان لأرائها و كتاباتها أصداء عالمية و من أبحاثها في آثار الشرقيين حافظا لعلماء الغرب على دراسة أدب الشرق و نتاج عقله ، وكان من ذلك حركة الاستشراق التي كان لها فضل جم على النهضة العربية الحديثة, حين وجهت الباحثين شطر الدراسات العلمية و دعوتهم إلى الأخذ بأساليب البحث العلمي و تصحيح النظريات القديمة في التاريخ و النقد و العلوم³.

وبرغم ما حصل من امتزاج و نقل للثقافة و العلوم إلى لبنان إلا أن أثر اتصال الشرق بالغرب لم يكن واضحا في بقية البلاد العربية حتى جاءت سنة 1798 تاريخ حملة نابليون بوناپرت الفرنسي على مصر, " فقد جرى الدارسون على عد الحملة الفرنسية على مصر و بلاد الشام في أواخر القرن الثامن عشر و أوائل القرن التاسع عشر

³ -حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث، دار الجبل، بيروت، ط1، 1986، ص10

(1801-1978) بمثابة الشرارة التي أطلقت العقول لتسأل و لتفكر و تستنج ، و أولت أهمية كبرى لهذه الحملة حتى باتت المحرك الوحيد باتجاه النهضة الحديثة في مختلف الميادين⁴ ، حين شدد انتباه الشرق و فتحت عينيه على مظاهر المدنية الأوروبية الحديثة ، و على تلك الفجوة الهائلة بين ما أصابه الغرب و الفرنسيون من تقدم علمي مدهش ، و بين ما هم عليه من تخلف و جمود فكري ، ولذلك كله يمكن اعتبار هذه الحملة بمثابة الجسر الذي عبر به المصريون و العرب عموما إلى عوالم المعرفة و الثقافة و الحضارة . فقد أيقظ الاحتلال الفرنسي مصر من سباتها العميق حين قدم نابليون إليها مصطحبا معه طائفة من العلماء و صناع العقول ، و عمل بعد ذلك على إنشاء مدرستين في القاهرة لتعليم أبناء الفرنسيين المولودين بمصر ، كما أنشأ "مجمعا علميا" على غرار المجمع العلمي الفرنسي وجعل شعاره التقدم و الاتحاد، كما سعى إلى تأليف لجننتين للتحقيق عن الآثار القديمة والبحث عن مخلفات الحضارة الفرعونية ، وأصدر صحيفتين باللغة الفرنسية هما " بريد مصر" و تعد لسان حال حملته ، و صحيفة "العشاره المصرية" و هي لسان حال المجمع العلمي⁵ . و قد كان من نتاج ذلك كله أن هب المصريون من غفلتهم ، وفتحوا أعينهم على ما لم يكن لهم عهد بمثله ، و على موارد الحضارة الأوروبية ، كما تنبهوا إلى حقوقهم التي هضمها المماليك، و نشأت فيهم القومية المصرية لاسيما و أنهم دعوا إلى الاشتراك في حكم بلادهم .

هذا ولما خرج الفرنسيون من مصر سنة 1801 و جلس محمد علي على عرش حكومتها سنة 1805 ، أقدم على تثبيت دولته بتعزيز جيشه و تدريبه على أحدث الوسائل الغربية، و حاول أن يبني دولة عربية عظيمة تجاري دول العالم المتقدمة في ذلك الوقت متأثرا بالهزيمة التي لحقت بالمماليك و الأتراك على أيدي الفرنسيين⁶ . و قام بإرسال البعثات العلمية إلى فرنسا و غيرها من البلاد الأوروبية ليقف أفراد شعبه على أسباب الرقي، و يعملوا على إصلاح بلادهم بعد رجوعهم ، و قد كانت أول بعثة إلى أوروبا سنة 1813، ثم ظل محمد علي يوالي البعثات بعد ذلك حتى سنة 1826⁷ .

و إذا كنا لا نستطيع أن ننكر أن هذه الحملة الفرنسية كانت من أعظم الأحداث و أشدها أثرا في تاريخ الشرق ، أو أن نقلل من أهميتها في يقظة العرب ، فإنه من الواجب علينا كذلك ألا ننسى عوامل التطور الأساسية الكامنة في الأمة ، و ألا تصور

4 - مصطفى السيوفي ، تاريخ الأدب العربي الحديث، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، القاهرة ، ط2008، 1، ص18

5 - حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، ط12، 1980، ص896

6 - مصطفى السيوفي ، تاريخ الأدب العربي الحديث ، ص18

7 - حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي، ص896

النهضة بجوانبها المختلف على أنها وليدة صدفة ما كان لها دون هذه الصدفة أن تظهر ثم تثمر فيما بعد .

ولذلك كله أمكن لنا كذلك أن نتحدث على جملة أخرى من العوامل التي كان لها أثر كبير في نهضة العرب و يقظتهم الفكرية والثقافية ، و سنحاول فيما سيأتي عرض أهمها :

1-التعليم :

بعد استقلال محمد علي عن الحكم التركي عمل على نشر العلم و التعليم، و قام بإنشاء المدارس العسكرية و الهندسية و الصناعية ،كما أنشأ مدرسة للطب و أخرى للفنون و أرسل بعثات علمية إلى أوروبا لتعود للتدريس في مدارس مصر ، ولم يكن ذلك إلا رغبة منه في دعم القوة العسكرية في البلاد،وتطوير الجوانب المادية الأخرى التي من شأنها أن تشيع مظاهر القوة في أرجاء دولته الفتية ، على أنها جميعا تخدم احتياجات الجيش و متطلباته ،و لم تكن تعنى بالجوانب الفكرية و الثقافية، لأن الهدف من ورائها كان مقصورا على النواحي المادية التي تخدم الجانب العسكري في البلاد .⁸

وبرغم ذلك فقد ساعدت تلك المدارس و البعثات العلمية على الاتصال بالتراث العربي القديم من جهة ،وبالثقافة الغربية من جهة ثانية بصورة غير مباشرة ،حين وقفت صفوة المتعلمين و المثقفين من أبناء مصر على ما يغيّر الصورة التي يزرع تحتها الواقع الثقافي في مصر والبلاد العربية الأخرى⁹. و قد ساعد نمو الحياة العلمية فيما بعد ، وخاصة في عصر إسماعيل الذي أضاف إلى تلك المدارس "مدرسة الإدارة التي تعتبر نواة لمدرسة الحقوق ، كما أنشأ مدرسة المعلمين و مدرسة الفنون والصناعات ومدرسة السيوفية للبنات و كثيرا من المدارس الابتدائية كمدرسة رأس التين و المدرسة الخديوية"¹⁰ ،وكذا ازدياد عدد المتعلمين واطلاع بعض الصفوة من المثقفين على الحياة الأوروبية على خلق مناخ ملائم لنمو الحركة الأدبية العربية.

وظل عدد المدارس بعد ذلك في ازدياد وانتشار كبيرين إلى أن جاءت ثورة 23 يوليو 1952 لتحطم قيود التعليم القديمة، ويصبح حسب الكفاءة العلمية لا الدرجة المالية،و توسعت دائرة المدارس و تعددت المعاهد و الجامعات و مراكز البحث و

8 - مصطفى السيوفي , تاريخ الأدب العربي الحديث، ص19

9 - نفسه ،ص19

10 - حامد حفني داود، تاريخ الأدب العربي الحديث تطوره - معالمه الكبرى و مدارسها، ص21.

الدراسات العليا تحت إشراف وزارة التعليم العالي و البحث العلمي و التربية و التعليم و كذا الأزهر الشريف .

2- الطباعة:

وهي أبرز وسيلة لنشر العلم و المعرفة بين جميع طبقات المجتمع , وعامل من العوامل المساهمة في نهضة العرب و يقظتهم .

و قد عرفت أوروبا المطبعة منذ القرن الخامس عشر، و طبع الأوروبيون بها الكتب العربية منذ القرن السادس عشر، وعن أوروبا أخذت تركيا المطبعة في القرن السابع عشر ،كما نقلتها سوريا في القرن الثامن عشر، حيث سبقت سوريا غيرها من البلدان العربية إلى الطبع بالحروف العربية حين ظهرت الطباعة فيها نحو سنة 1702، أما مصر فلم تعرفها إلا مع حملة نابليون ،ولم تلبث أن غادرتها بمغادرة نابليون لمصر ، حتى كان محمد علي فأنشئت مطبعة بولاق الشهيرة ،و حين أخذ الرأي العام المصري يتكون و انتشرت الصحف ازدادت الحاجة إلى هذه الوسيلة المتطورة، فانتشرت مطابع كثيرة في مصر و الإسكندرية ثم في أرجاء القطر المصري¹¹. و قد بلغ عددها في أعقاب الحرب العالمية الثانية في مصر و في غيرها من البلاد العربية ألف مطبعة¹² ،كان لها الفضل في طبع الكثير من الكتب و إعادة إحياء التراث العربي وبعث نتاجه العريق، و تمكين عامة الجمهور و القراء منه.

3- الصحافة:

ارتبط ظهورها وتقدمها بظهور الطباعة و تطورها في الوطن العربي ،و قد عملت على إيقاظ الوعي الوطني و القومي في البلاد العربية ، وربطت الشعب العربي بجديد الفكر العالمي كما ساهمت بشكل فعال في تخليص الأدب من قيود الصناعة اللفظية و في ازدهار النقد الأدبي و السياسي الاجتماعي .

وكانت مصر المهد الأول للصحافة العربية الحقيقية،فقد ظهرت فيها سنة 1828 جريدة " الوقائع المصرية" ، واهتمت في بداياتها بإيراد بعض التقارير عن الحكومة المصرية و بعض الأخبار الداخلية شعبية و رسمية ، وكذا بعض الحوادث اليومية الاجتماعية ، ثم أصبحت بعد ذلك تعنى بإيراد بعض الأحداث الخارجية¹³

11 -شوقي ضيف ، الأدب العربي المعاصر في مصر ،دار المعارف ، القاهرة ، ط10، ص30

12 -شوقي محمد المعاملي ،دراسة في الأدب العربي الحديث، كلية التربية جامعة عين شمس ، ط1، ص11

13 - عمر الدسوقي ، في الأدب الحديث، ج1، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ، 1964، ص74

و إذا كانت مصر مهد الصحافة الأول في البلاد العربية، فقد تلتها الجزائر بصحيفة المبشر سنة 1847، ثم بدأت بيروت تشارك في الصحافة فأُنشئت فيها مجلة تبشيرية إنجيلية سنة 1851، و تلتها صحف تبشيرية أخرى وأصدر اللبنانيون صحفاً أخرى امتدت فيها آثارهم إلى خارج بلادهم في مصر و أوروبا و أمريكا نذكر منها " برجس باريس" سنة 1858 و " مصر القاهرة" سنة 1879 و " الأهرام" سنة 1875 و " المقطم" سنة 1888 و " المقتطف" سنة 1885، ومن الصحف التي ظهرت في بيروت " حديقة الأخبار " سنة 1858 و "نفير سوريا" سنة 1860¹⁴.

و قد تفاعلت الصحافة المصرية مع الصحافة الشامية في إثراء النهضة العربية الشاملة في مصر و البلاد العربية، فأسس أحمد فارس الشدياق صحيفة "الجوائب" السياسية الأسبوعية، ونالت شهرة لم تنلها صحيفة سواها منذ إنشاء الصحافة العربية، فتهافت عليها المفكرون و القراء و بلغت من حسن التبويب و براعة التحرير و جودة الأسلوب حدا جعلها من أكبر صحف ذلك العصر و أكثرها انتشاراً، وقد أمدت المكتبة العربية بكثير من المطبوعات التي ساهمت في إحياء التراث العربي¹⁵

4-المكتبات :

كان لها دور لا يستهان به في نهضة العرب الحديثة، فبعدما كانت نفائس الكتب ونوادير المخطوطات مكدسة في قصور السلاطين العثمانيين و متفرقة في مكتبات أوروبا وفي مساجد مصر، استطاع علي مبارك أن يصل الناس بها حين أنشأ دار الكتب المصرية و جمع فيها ما كان مبعثراً من تلك الدرر والنفائس، حتى أصبحت بعد ذلك من أشهر مكتبات الشرق، ثم تأسست بعد ذلك مكتبات عامة في القاهرة أشهرها المكتبة الأزهرية سنة 1879 و مكتبة الأروقة في الأزهر وغيرها، وأصبح تأسيس المكتبات الخاصة من التقاليد التي تحرص عليها الأسر الأرستقراطية، فقد ورث العلامة المحقق أحمد تيمور عن أبيه مكتبته النادرة، و سعى إلى توسعتها و مدها بالمزيد من الكتب النفيسة، و فعل مثل ذلك محمود سامي البارودي الذي أسس مكتبة خاصة جمع فيه الكثير من الكتب من مختلف أرجاء مصر و بلاد تركيا¹⁶.

ثم أخذت مكتبات الكليات والجامعات و المدارس الكبرى في الظهور بالإضافة إلى كثير من المكتبات التي ظهرت في البلاد العربية، كالزيتونة و الصادقية في تونس

¹⁴ - مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب العربي الحديث، ص23

¹⁵ - السابق، ص23-24

¹⁶ - مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب العربي الحديث، ص20

و الظاهرية في دمشق و مكتبة مكة المكرمة و خزائن الكتب بالمغرب و مكتبة الجزائر الأهلية و غيرها.

و قد ساعدت هذه المكتبات في توفير مناخ ملائم للتأليف و الكتابة و تنشيط الساحة الثقافية و الفكرية في البلاد العربية ، و كانت موارد لجيل العصر ينهل منه ما ينير له الطريق و ينفذ عنها غبار الأيام المظلمة.

5-المجامع و الجمعيات العلمية والأدبية:

تعددت المجامع العلمية في البلاد العربية و كانت من عوامل تقدم العلوم و الثقافة، وأول مجمع علمي أسس في الشرق العربي هو المجمع الذي أسسه نابليون في مصر على غرار المجمع العلمي الفرنسي، ثم ظهرت مجامع علمية أخرى كالمجمع العلمي الشرقي في بيروت و المجمع العلمي العربي في سوريا و المجمع الملكي للغة العربية في القاهرة . وظهرت إلى جانب ذلك الكثير من الجمعيات الأدبية كالجمعية السورية التي ظهرت في بيروت سنة 1847، و الجمعية العلمية السورية في بيروت سنة 1868 و جمعية التعريب سنة 1892، و ظهرت أول جمعة علمية أدبية في مصر سنة 1868¹⁷.

6- الترجمة و التأليف:

كان نشاط الترجمة في مصر كبيرا قياسا إلى التأليف من خلال قيام محمد علي بإرسال البعثات العلمية إلى أوروبا رغبة منه في تكوين نخبة توكل إليها مهمة تعليم المصريين و تلقينهم مبادئ العلوم و المعارف الحديثة . و قد شارك رفاة رافع الطهطاوي في حركة الترجمة العلمية التي أوجدتها الضرورة المدرسية و ذلك بعد عودته من أوروبا حتى يعرف المصريون العلوم الأوروبية، ثم أنشأ محمد علي مدرسة الألسن لتخدم هذه الحاجة ، و عين رفاة ناظرا لها ، ولم يلبث أن تأسس قلم للترجمة سنة 1842 و تولى رئاسته كذلك رفاة¹⁸.

أما التأليف فكان بطيئا في بدايات عصر النهضة، و لم تؤلف فيه سوى بعض الكتب في الرحلات، في حين ظلت أغلب الكتب العلمية ترجمة.

7-الاستشراق :

17 -شوقي ضيف ، مجمع اللغة العربية في خمسين عاما (1934-1984)، مجمع اللغة العربية ، القاهرة، ط، 1984، ص19

18 -شوقي ضيف ، الأدب العربي المعاصر في مصر ، ص23

أطلقت تسمية المستشرقين على طائفة من علماء الغرب الذين تخصصوا في دراسة لغة الشرق وعلومه و تاريخه و تراثه، وقد تمثل دورهم في العناية بأداب اللغة العربية ونشرهم لكثير من المخطوطات نشرا علميا، وعقدتهم لكثير من المؤتمرات التي ناقشوا فيها جملة من المسائل اللغوية و الأدبية و الفكرية¹⁹. كما كان لهم دور في تأسيس الجامعات العربية و التدريس بها فتعلمذ على أيديهم الكثير من رواد الفكر و الأدب العربي في العصر الحديث، كما يرجع إليهم الفضل في تنبيه العرب إلى عظمة تراثهم فبادروا إلى جمعه و حفظه.

يضاف إلى كل هذه العوامل ما كان للمتاحف المختلفة التي ظهرت في مصر و المغرب العربي كدار الآثار العربية في مصر و المتحف الأهلي الجزائري²⁰، وكذا ما كان لظهور فن المسرح من دور في ازدهار الحياة الثقافية و الفكرية، ومن ازدهار لحركة بعث التراث و زيادة في عدد المتعلمين في مقابل تقلص دائرة الجهل و التخلف.

مدخل للنثر العربي الحديث

النثر قبل عصر النهضة :

لم يكن حاله أحسن من الشعر ، حيث كانت الصناعة اللفظية في عصر الأتراك العثمانيين تحتل المحل الأول من أساليب الكتابة ، وكان السجع هو اللون الغالب في أساليب الكتاب ، الأمر الذي جعل المعاني تضيع في زحمة هذه الأسجاع ، ذلك أن الكاتب كان يختار اللفظة المسجوعة قبل الفكرة التي يريد بها ، وهو عين الأسلوب المتكلف ومنتهى التصنع في الكتابة ، ومن الذين اشتهروا بهذا اللون من التصنع محمد البكري و عبد البرّ الفيومي في مؤلفه " منتزه العيون و الأبواب في بعض المتأخرين من أهل الآداب " و عبد القادر البغدادي في كتابه " خزنة الأدب " و اشتهر منهم أيضا شهاب الدين و يوسف الحفناوي و الخفاجي الذي يقول في كتابه في ترجمة داود الأنطاكي : " ضرير بالفضل بصير ، كأنما ينظر خلف ستارة الغيب بعين فكر خبير ، لم

19 - مصطفى السيوفي تاريخ الأدب العربي الحديث ،ص24

20 - نفسه ،ص25

تر العين ، بل تسمع الأذان ن ولم تحدث الركبان بأعجب من مسائله الركبان ن إذا جس نبضا بتشخيص مرض عرض ،أظهر من أعراض الجواهر كل عرض ..."

أما النثر العلمي فقد كان أوسع نطاقا من النثر الفني لأنه لا يحتاج إلى أعمال الصنعة أو المعرفة الواسعة بفنون البلاغة، ومن كتابه :ابن إياس الحنفي صاحب كتاب " بدائع الدهور " في التاريخ الأسطوري وأحمد بن زنبيل الرمال ، وله كتاب " سيرة السلطان سليم " في التاريخ الخاص ، وداود الأنطاكي ، وله كتاب " تذكرة داود " في الطب ،ومرتضى الزبيدي الذي ألف كتاب " تاج العروس "

أما أغراض النثر الفني في ذلك الوقت فكانت تتناول الرسائل الرسمية كمجموعة رسائل البكري " دستور الغرائب" وتراجم الأعلام كترجمة الشهاب الخفاجي لداود الأنطاكي التي مر ذكرها ، ومن أغراض النثر الفني قبل العصر الحديث فن المقامات الذي استخدم في الأغراض التي استخدم فيها الشعر من مدح وعتاب و فخر و هجاء و رثاء و منها "وصف أحوال الأستانة و ذكر علمائها"،"الأميرة ذات الهمة" وقد كانت الأولى تقصد إلى تصوير البطولة عند المماليك ، أما الثانية فكانت تعتمد إلى تصوير البطولة عند العرب .

النثر في عصر النهضة :

حين انبلج فجر العصر الحديث مع مطلع الحملة الفرنسية على مصر و اتصال المشرق من خلالها بأوروبا ، امتدت خيوط المدنية الحديثة مع هذه الانبثاقات الجديدة ، وامتدت معها قرائح الأدباء و الكتاب إلى عالم الفكر الحديث و تخلصوا شيئا فشيئا من قيود السجع و الزخارف اللفظية ، ومن ثمة بهرهم المعنى بعد أن كانوا آمادا طويلة يرضخون للزخارف اللفظية ، و الصور الشكلية التي توارثوها جيلا عن جيل منذ العصر العباسي الثاني .

ظهرت نتيجة لذلك إذن طائفة من الكتاب من خريجي الأزهر في الفترة التي تمتد من حملة نابليون إلى غاية أواخر عصر إسماعيل أمثال الشيخ عبد الله الشرقاوي ومحمد الشنواني و حسن العطار و رفاعة رافع الطهطاوي ،غير أن الامتداد الزمني بين الحملة الفرنسية و الثورة العربية لم يكن بالقدر الكافي الذي يؤهل للنضج الفكري و العقلي المرتقب ، وما إن قامت الثورة العربية عام 1881حتى حدثت يقظة في مجال السياسة و المجتمع و الفكر سرت بدورها إلى الأدب فتخلص من قيود الصناعة اللفظية ،وتهيأت الظروف للنثر كي يتطور ، ويساير ركب الحياة الجديدة ، وكان مجال التطور

فيه أوضح و أبين بكثير من مجال تطور الشعر الذي سلك طريقه في مراحل متعددة رتيبة متأنية ، وقد برز في هذا الطور الذي يمتد من الثورة العرابية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عدد ضخم من الكتاب نذكر منهم : بطرس البستاني و أحمد فارس الشدياق ، والشيخ الحسين المرصفي و جمال الدين الأفغاني و إبراهيم المويلحي و الشيخ محمد عبده و إبراهيم اليازجي و الزعيم مصطفى كامل .

ثم جاء عقب هذه الطبقة طبقة أخرى من الكتاب كانت تعتبر همزة وصل و جسر لقاء بين كتاب الثورة العرابية و كتابنا المعاصرين منهم جرجي زيدان و فتحي زغلول و الشيخ حمزة فتح الباب، ثم بلغت الكتابة الفنية في مراحل متقدمة إلى الآن منزلة عالية ، وأصبحت تمتاز بسهولة الأساليب و وضوحها و ترتيب الأفكار و قوتها و العناية بالمعنى و التحرر من قيود الصناعة اللفظية و البديع ، وعظمت العناية بالقصص و المسرحيات و المقالات و الخطابة التي تنوعت إلى سياسية و قضائية و اجتماعية و أدبية ... و من أشهر الأدباء الذين مثلوا هذه المراحل المتقدمة طه حسين و العقاد و الراجعي و محمد حسين هيكل و توفيق الحكيم

الخطابة في الأدب العربي الحديث

تعريف الخطابة :

هي فن مشافهة الجمهور و إقناعه و استماليته ، وهو شرطها وإلا كانت أي نوع من أنواع الكتابة الشعرية و النثرية ولا بدا للجمهور أن يستمتع و إلا كان الكلام حديثاً أو وصية ، و لا بد من الإقناع ، وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين و يؤيده بالبراهين ليعتقدوا كما يعتقد هو ذاته .

نشأتها وتطورها :

منذ أن اجتمع الناس في مكان واحد و استوطنوه و تفاهموا بلسان واحد عرفوا الخطابة ، لأنه من الطبيعي أن يختلفوا في عقيدة أو رأي ، ومن الطبيعي أن يتنافسوا على غنيمة أو متاع أو تركة ، فيحاول المتفوق أن يستميل إليه من يخالفون ، وأن يقنعهم فإذا ما أقنعهم و استمالهم فهو خطيب ، وقوله خطبة ، ثم أنه من الطبيعي أن تنشأ أمور تستدعي تعاون المجتمع و تظافر قواه على اجتلاب نفع عام مشترك فيتصدر بعض النابهين من هذا المجتمع لقيادة الجماعة و زعامتها ، عدتهم في ذلك الخطابة على أن الناس في حياتهم قديماً تسلحوا بأسلحة مادية للدفاع و رد العدوان ، وتسلحوا أيضاً بسلاح معنوي هو اللسان ، وما زالت الخطابة إلى الآن سلاحاً تتواصل به الأمم ، وإن جيشت الجيوش و تفتنت في اختراع القذائف و المدمرات .

لذلك لم يخل من الخطابة سجل أمة وعى التاريخ ماضيها ، فقد حفظها خط آشور المسماري ، وقيدها خط الفراعنة الهيروغليفي ، ثم رواها تاريخ اليونان السياسي و الأدبي منذ القرن السابع قبل الميلاد ، وبها أخضع بوذا الجموع الهندجية ، و بها أذاع الدين الأنبياء و المرسلين ، وكان لها مكانها العظيم في مجامع العرب قبل الإسلام ، فقد كان للعرب خطب في العصر الجاهلي ، واتسع نطاقها في عصر الخلفاء الراشدين ، ثم في العصر الأموي حين صوّرت النزاع بين الأحزاب السياسية و المذاهب و الملل.

وفي العصر الحديث لبست الخطابة ثوبا جديدا مسائرا للحضارة الغربية وما عرفت من تطور مادي و نظم إدارية لم يألفها العرب ، وصار لها في هذا العصر دور سياسي و خاصة في مناهضة الاستعمار و تأجيج الثورات الاستقلالية و توجيهها نحو التحرر و التمسك بالمبادئ الوطنية ، و التأكيد على حريات المواطن و حقوقه ، كما كان لها دور ديني تمثل في محاربة الفساد و الانحراف الخلقي ، واتسع مجالها و تعددت أساليبها ، وكان ذلك نتيجة للحركات الوطنية و تأسيس الجمعيات و النوادي الأدبية و المنابر الخاصة بالمؤتمرات القومية و السياسية المحلية و الدولية ، كما ساعد على انتشارها وسائل الإعلام حين يوجه السياسيون على سبيل المثال خطبهم إلى الشعب ، ويتم نقلها إليهم بواسطة الإعلام ، ولازالت الخطابة في العصر الحديث تحتل دورا رائدا رغم توفر وسائل أخرى للاتصال بال جماهير ، فالأحزاب السياسية و زعمائها و الحكام و الناطقون باسمهم و البرلمانات و المجالس الوطنية و أعضائها و الجمعيات و النوادي و المختلفة كلهم يعتمدون على الخطابة في الإقناع و التأثير على الرأي العام في المناقشات و المفاوضات و المؤتمرات.

أصول الخطابة

1/ الإيجاد : أي إعمال الفكر في استنباط المعاني الجديدة الجديرة بالعرض و الإقناع و حصرها

2/ التنسيق: أي ترتيب تلك المعاني التي يقصد عرضها ، و إحكام تركيب الخطابة و ربط أجزائها بحيث تكون أبين غرضا و أحسن وقعا

3/ التعبير: و هو الكلام المفصح عن تلك المعاني ، وما يتصل بها من حجج و براهين ، و مراعاة ما يناسب السامعين و أحوالهم من تأنق في القول و تصريح و إيجاز .

أركان الخطابة :

جاءت أركان الخطابة في محاضرات أرسطو حين قسمها إلى مقدمة الخطبة أو التمهيد لموضوعها، و يليها عرض الموضوع ثم التذليل عليه ثم ختام الخطبة بتقرير ما يريد الخطيب إقراره في أذهان سامعيه

1/ المقدمة : من خلالها يسعى الخطيب لشد انتباه سامعيه و تهيئتهم للإقبال عليه و السماع لما سيقوله لهم و هي ذات أهمية بالغة لأنها أول ما يطرق سمع المخاطبين ، فإذا كانت جذابة مشوقة نجح الخطيب واستطاع أن يجعل الناس يقبلون عليه ، و إقبالهم عليه يشد عزمهم و يثير فيه النشاط و الحمية ، و قد تكون المقدمة بذكر حدث تاريخي موجز أو قصة عابرة ينتقل من خلالها إلى جوهر الموضوع .

ومن أهم مميزاتها :

-أن تكون مشوقة ذات قدرة على شد انتباه السامعين

-أن تكون بألفاظ واضحة وأفكار قريبة المنال

-ان تكون شديدة الصلة بموضوع الخطبة

-أما من ناحية الطول و القصر فينبغي أن لا تكون مسرفة في أي منهما لانه إن كانت موجزة جدا لم تكن مقدمة و إن أسرفت في الطول فقدت فائدتها حين تستنفذ قدرة الخطيب و قوته فإذا انتقل للموضوع كان الإجهاد قد نال منه و قلت حماسته .

2/ الموضوع : نعني به الأفكار التي يدعو الخطيب إليها و يسعى إلى الإقناع بها و التدليل عليها ، و دفع ما عسى أن تقابل به من نقد و اعتراضات ، وهو أهم أركان الخطابة إن لم يكن عمودها الفقري ، و تتوقف جودته وحسنه على أمور أهمها :

-وحدة الموضوع

-ترتيب أجزاء الكلام و ترتيب الأفكار بدءا بالفكرة البسيطة ثم التدرج بها وصولا إلى الفكرة المراد تبليغها

-اختيار الأدلة المقنعة ، وفي هذا الصدد لا بدا أن نشير إلى أن الحديث إلى الجماهير يتطلب المشاركة الوجدانية و إثارة العواطف أكثر من اعتماده على أدلة و براهين ، فقد يثير حماسهم و يلهب مشاعرهم من غير أن تكون الفكرة قد درست في النفوس درسا منطقيًا و سليما .

3/ الخاتمة : بعد أن يفرغ الخطيب من عرض موضوعه و الإدلاء بأدلته و حججه يصل إلى ختام موضوعه الذي يشترط فيه ما يأتي :

-ألا يكون بعيدا عن موضوع الخطبة و لا مجددا لآراء جديدة أو أدلة أخرى ، لأنها حينئذ لا تكون خاتمة بل جزءا من خطبة

-أن تكون قوية في تعبيراتها و في إلقائها لأنها آخر ما يطرق أسماع الناس و يبقى في أذهانهم

-أن تكون واضحة بعيدة عن الغموض غير طويلة و لا قصيرة جدا .

خصائص أسلوبها :

-قيامها على أركان ثلاثة مقدمة – عرض – خاتمة

-وحدة الموضوع : بحيث تتركز الخطابة في أمر واحد يدور الكلام كله حوله و حول فكرة واحدة

-ترتيب الأفكار : بالتدرج من الفكرة البسيطة إلى عرض الفكرة التي يريد الخاطيب

-اختيار الأدلة و الشواهد المقنعة

-المشاركة الوجدانية

-وضوح الأفكار و سهولة اللفظ و جودته و جمال التركيب و سلامته

-اعتماد السجع

-مناسبتها لمقتضى حال السامعين

-اعتماد الأساليب الإنشائية

-براعة الاستهلال و حسن الاختتام

فن المقال في الأدب العربي الحديث

1/ التعريف:

اختلف النقاد في تحديد معنى المقال و خصائصه الفكرية ، وأول ما يصفونها به أنها لا تخرج عن كونها تعبير عن إحساس الكاتب و عن آرائه الخاصة في الحياة .

فهذه دائرة المعارف البريطانية تذكر عن المقالة الأدبية أنها قطعة متوسطة الطول تكون عادة منثورة في أسلوب يمتاز بالسهولة و الاستطرد، وتعالج موضوعا من الموضوعات على وجه الخصوص من ناحية تأثر الكاتب به.

و يصفها أحدهم ، وهو الكاتب آرثر بنسن بأنها تعبير عن إحساس شخصي أو أثر في النفس ، أحدثه شيء غريب أو جميل أو مثير للاهتمام أو شائق أو يبعث الفكاهة و التسلية ، ثم يقول : "وهكذا تكون المقالة قريبة الصلة بالقصيدة من الشعر الغنائي و لكنها تمتاز إلى جانب ذلك بما يتيح النشر من الحرية وبتوسع الأفق وبمقدرتها على ملامسة نواحي يتحاشاها الشعر " ، ثم يستطرد بنسن فيصف لنا كاتب المقالة على أنه شخص يعبر عن الحياة و ينقدها بأسلوبه الخاص ...إنه لا ينظر إلى الحياة نظرة المؤرخ ...أو الفيلسوف ..أو الشاعر ...أو القصاص ، ولكن في فنه شيء من هذا كله ...إن طريقته في العمل أدنى إلى ما يسمى الأسلوب التحليلي الذي يراقب ويسجل ويفسر الأشياء كما تبدو له ..ثم يدع خياله يمرح في جمالها و مغزاها و الغاية في هذا كله أنه يحس إحساسا عميقا بصفات الأشياء و بسحرها ، ويريد أن يلقي عليها كلها نورا رقيقا واضحا لعله يستطيع بذلك أن يزيد الناس حبا في الحياة .

وعلى هذا النحو نجد المؤرخ هـب تشارلتن يقول عن المقالة الأدبية : "إنها في صميمها قصيدة وجدانية سيقت نثرا ...للتسع إلى مالا يتسع له الشعر المنظوم " .

تلك هي في الإجمال . آراء الفرنسيين في تعريفهم للمقالة الأدبية و هذه الآراء نفسها نصادفها عندما نستعرض ما كتبه عنها بعض المعاصرين من الكتاب العرب كالدكتور محمد يوسف نجم الذي يعرفها بأنها " قطعة نثرية محدودة الطول و الموضوع تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من التكلف ، وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقا عن شخصية الكاتب" ، و الدكتور محمد عوض يقول أن: " المقالة الأدبية تشعرك و أنت تطالعها أن الكاتب جالس معك يتحدث إليك ...وأنه مائل أمامك في كل عبارة و في كل فكرة وترى نعمات أحمد فؤاد في دراستها لأدب المازني الذي ترى فيه كاتب المقالة الأول في الأدب العربي الحديث .. " أنها ليست دراسة ...ولكنها كلام ليس المقصود منه التعمق و التركيز وهي في مدلولها الحديث ثرثرة بليغة محببة ...يبدا صاحبها ... ولا يعرف كيف ينتهي " .

موضوعها :

موضوع المقالة الأدبية هو اللاحدود إذ أن كل موضوع بالنسبة للمقالة الأدبية ملائم لها و في هذا الإطار يقول أحمد أمين : "كل شيء في الحياة صالح لأن يكون موضوعا من الذرة الحقيرة إلى الشمس الكبيرة ، ومن الرذيلة إلى الفضيلة ، ومن كوخ الفلاح إلى قصر الملك ومن الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل ، ومن أقبح قبيح إلى أجمل جميل ، ومن الحياة إلى الموت ، ومن الزهرة الناضرة إلى الزهرة الذابلة ، ومن ككل شيء إلى كل شيء".

ظهورها في الأدب العربي :

المقالة في الأدب العربي ليست من فنون الأدب المجهولة فكانت قديما تعرف باسم الرسالة ، وليس المقصود بها الرسالة الديوانية أو الإخوانية ، بل المقصود بها تلك الرسائل التي كانت تدور حول موضوع يختاره الكاتب ، وهي أطول من المقالة ولها نمط خاص من الصناعة و الأسلوب كرسائل الجاحظ وابن المقفع وابن شهيد ، والفرق بين المقالة و الرسالة أن هذه الأخيرة تكتب لصنف معين من المثقفين، أما المقالة فتتوجه للجمهور على صفحات الجرائد و المجلات

إن المقالة صناعة العصر الحديث ، وهي في ظهورها متصلة اتصالا وثيقا بتاريخ الصحافة في الشرق الأوسط أي إلى عهد غزو نابليون بونابرت للشرق و ظهور المطابع الحديثة و إنشاء الصحف .

و قد ظهر المقال الأدبي إلى جانب المقال الصحفي ، فالمقال الصحفي يتناول المشكلات القائمة و القضايا العارضة من الناحية السياسية ، و المقال الأدبي يعرض لمشكلات الأدب و الفن و التاريخ و الاجتماع وهي أقرب إلى طبيعة المقالة و فنها الأصيل من المقالة الصحفية ، وقد وجد بين كتابنا من استطاع الإجابة في النوعين مثل عباس محمود العقاد و الدكتور حسين هيكل و طه حسين الذي كانت مقالاته الصحفية تظهر فيها ذخائر اطلاعه على الأدب العربي و التاريخ الإسلامي، ومن أقدر كتاب المقالة الأدبية الخالصة ميخائيل نعيمة و جبران خليل جبران و مي زيادة .

عوامل ازدهار فن المقال في العصر الحديث :

ساهم في ازدهار هذا الفن في العصر الحديث عوامل عديدة يمكن حصرها في الآتي:

-ظهور الطباعة و الصحافة

-نشاط الحركة الأدبية و النقدية ، و ظهور طائفة من الأدباء و المصلحين الذي ن حملوا على عواتقهم مسؤولية توعية الناس و إرشادهم .

-الاحتكاك بالغرب

- تعقد الحياة في العصر الحديث و تشعب مشكلاتها السياسية و الاجتماعية بسبب الاستعمار الحديث و الفساد السياسي عامة.

حاجة الناس إلى هذا النوع من الأدب الذي يواكب التطور الذي يشهده العصر و الحياة و يساير مستجداته .

خصائصها الفنية : (الشروط الفنية و الموضوعية)

-تمتاز المقالة بالإيجاز، إذ يختار الكاتب جوانب من موضوع ما و يسلط عليها أضواء فكره متحريرا إظهار النواحي المثيرة للاهتمام مغفلا التفاصيل المملة ، ويستلزم ذلك مقدرة على انتقاء المواد المناسبة و تحديد الهدف

-أن يكون في المقال نوع من ألوان الثثرة و الإفشاء بالتجارب الخاصة و الأنواق الشخصية .

-غاية المقال الأساسية هي الإمتاع فلا يجب أن تنحرف لإعطاء دروس في الأخلاق أو سرد لقصة عاطفية أو عظات أدبية أو أي لون آخر من ألوان الأدب

-إجادة الاستهلال و براعة الاختتام

-إجادة التصميم و مراعاة الانسجام بين الفكرة و أسلوب الأداء مع التركيز على التماسك و التدرج في الانتقال من خاطرة إلى أخرى من تلك الخواطر التي تتجمع حول موضوع المقال .

- أن تكون مرآة عاكسة صورة الكاتب و ظلال العصر الذي يعيش فيه و البيئة الاجتماعية و السياسية التي تحويه .

-إلى جانب هذا يشترط في كاتب المقال أن يكون غزير العلم واسع الاطلاع متنوع الثقافة ، متوقد القريحة ، نافذ البصيرة ، دقيق الملاحظة ، مرهف الذوق و الإحساس حتى يعرف متى و كيف يستهوي القارئ.

-اشتمالها على مقدمة يعمد فيها الكاتب إلى وضع القارئ في جو الموضوع و عرض يبسط فيه فكرته مستعينا بالأسلوب الملائم و الموائم ، وخاتمة تختلف باختلاف الموضوع ، قد تكون انطباعا يود الكاتب أن يحدثه في نفس القارئ.

-أن تكون حرة طليقة غير خاضعة لدعوة من الدعوات أو مبدأ من المبادئ أو مسخرة من أجل عقيدة من العقائد أو مذهب من المذاهب.

القصة في الأدب العربي الحديث

التعريف :

لغة:

من قص الخبر يقص إذا ساقه و أورده بحسب وقوعه

اصطلاحا :

1/ سرد ذو تركيب معين تتحرك خلاله الشخصيات و تنمو الحوادث و تترابط العناصر القصصية على خطة مقصودة ، وتدبير محكم من خارج حياة القصة نفسها أي بقصد من القاص ، و هكذا فإن مجرد السرد و الإخبار لا يعني القصة الفنية التي تقوم على دراسة النفوس ، واستجلاء مكانها ، واستثارة نزعاتها و أميالها.

2/ عمل فني أدبي يصور حادثة من حوادث الحياة أو عدة حوادث مترابطة يتعمق القاص في تفصيلها و النظر إليها من جوانب متعددة، ليكسبها قيمة إنسانية خاصة مع الارتباط بزمنها و مكانها وتسلسل الفكرة فيها و عرض ما يتخللها من صراع مادي و نفسي ، وما يكتنفها من مصاعب و عقبات على أن يكون ذلك بطريقة مشوقة تنتهي على غاية معينة

3/ يعرفها بعض نقاد الغرب بالقول : حكاية مصطنعة مكتوبة نثرا تستهدف استثارة الاهتمام سواء أكان ذلك بتطور حوادثها أو بتصويرها للعادات و الأخلاق أو بخرابة أحداثها

نشأتها و تطورها في الأدب العربي :

في الأدب العربي القديم :

بدأت منذ العصر الجاهلي في قصص قصيرة ترويها مصادر الأدب كالأمالى و الأغاني و الفرج بعد الشدة و نشوار المحاضره و غيرها، وكان طابعها غالبا أخلاقيا ، و قد كان للعرب قصص و أساطير و أسمار تعبر عن حياتهم تعبيرا صادقا منذ العصر الجاهلي ، ولما ظهر الإسلام و اتسعت الفتوحات و جال العرب في كل مكان و اطلعوا على كثير من أقاصيص الفرس و الروم و الهنود و غيرهم من الأمم القديمة، اتسع خيالهم و نمت مواهبهم في فن القصة و بالتأليف في فن السيرة و التاريخ اتسع مجال القصة في الأدب العربي ، ولما جاء العصر العباسي زاد الاهتمام بفن القصة و كثرت في الأدب العربي، وألفت فيها الكثير من المؤلفات كالمحاسن و الأضداد و العقد الفريد ، و حكايات محمد بن القاسم الأنباري ، وأخبار التوحيدي ، و التوابع و الزوابع لابن شهيد و ألف ليلة وليلة ، رسالة الغفران لأبي العلاء ، حي بن يقظان لابن طفيل...

في الأدب العربي الحديث :

من أوائلها مجموعة من القصص الشعبي على طراز ألف ليلة و ليلة للشيخ محمد المهدي الحفناوي في تصوير البيئة المصرية وهي مفقودة ، " علم الدين " لعلي مبارك ، وهي قصة شيخ أزهرى تتلمذ على يده مستشرق أنجليزي و تعلم على يده اللغة العربية .

و بتأثير من الآداب الأوروبية و اتصالنا بها وجدت لدينا القصة فظهر أول ما ظهر من الآثار القصصية الفنية "حديث عيسى بن هشام " لمحمد المويلحي ، وزاوج فيها بين الجد و الدعاية و السخرية و تناول ما جل و دق من شؤون الحياة و تغلغل في أعماق النفس المصرية درسا و تحليلا متأثرا بفن المقامة في الأدب العربي ، وبالآداب القصصي الأوروبي ، ففي قصص الكتاب من المقامات أسلوبها و الراوي و البطل ، وفيها من الأدب الغربي موضوعها في النقد الاجتماعي ، و فنها القصصي البارع ، ومن القصص الأولى أيضا "ليالي سطيح" لحافظ إبراهيم.

ثم بدأ الأدب العربي يتخلص شيئا فشيئا من آثار التقليد للقصة العربية القديمة مع تمثّل و احتذاء للأصول الفنية للقصة الغربية ، فترجمت عدة قصص من الأدب الأوروبي مع التحريف فيها لتتطابق الذوق العربي كقصة بول و فرجينى للفرنسي سان

بيير التي ترجمها عثمان جلال ، كما ظهرت بعض القصص المترجمة للمنفلوطي "كالفضيلة و "الشاعر" و "في سبيل التاج" ، وفعل نحو ذلك حافظ إبراهيم في "البؤساء" ، ثم الزييات في "آلام فرتر" لجوته .

ثم عني أدباؤنا بتأليف القصة متأثرين بالاتجاهات الأوروبية الأدبية الحديثة ، فكتب عبد الرحمان الشرقاوي الأرض و كتب نجيب محفوظ اللص و الكلاب ، خان الخليلي ، زقاق المدق ،بين القصرين ...

ويمكن أن نلخص المسيرة التي عكستها حركة القصة أو الرواية العربية أنواعها التي اختلفت من طور إلى آخر في الآتي :

في المرحلة السابقة عن الحرب الأولى ظهرت روايات اجتماعية مثلها البستاني وتاريخية مثلها جرجي زيدان ن وتعليمية مثلتها العمال التي قلدت المقامات .

وفي المرحلة الثانية – بين الحربين – ظهرت روايات عاطفية اجتماعية كرواية زينب لمحمد حسين هيكل و رومانسية مثلتها أعمال المنفلوطي و جبران خليل جبران ، وتاريخية مثلتها أعمال معروف أرناؤوط وبوليسية مثلها جميل البحري ، وشبه واقعية مثلتها أعمال الرغيف لتوفيق يوسف و عودة الروح لتوفيق الحكيم.

أما في المرحلة الثالثة – بعد الحرب العالمية الثانية – فقد شهدت تأصيل هذا الفن و انطلاق واقعية جديدة في أعمال يوسف إدريس و نجيب محفوظ و حنا مينا و الطاهر وطار و غيرهم ، وظهرت اتجاهات رومانسية كالتى عرفت أعمال يوسف السباعي ، و ركزت بعض الأعمال الروائية على رصد العلاقة بين الغرب و العرب كرواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح ، و رواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس وعصفور من الشرق لتوفيق الحكيم ، و ظهرت روايات نفسية كالسراب لنجيب محفوظ و روايات بوليسية أخرى علمية واستفاد الكتاب من أساليب القصص المختلفة في الرمز و الحوار و التداعي و تيار الوعي و المونولوج و الاستفاد من التراث و الأسطورة.

عناصر القصة الفنية :

1/الحادثة : مجموعة من الوقائع الجزئية التي تأتي متساوقة في نظام خاص و سائر نحو

هدف معين و على خط خاص

2/ السرد: نقل جزئيات الوقائع بواسطة ألفاظ تعبر عنها ، و لكي يكون فنيا يضاف إلى نقل الوقائع ألفاظ التفسير التي توضح تلك الوقائع و تعللها .

3/البناء: أو الحبكة الفنية و المقصود بها عرض الحوادث الذي يبدأ بتمهيد ثم تبدأ الأحداث في النمو و التطور و التأزم حتى تبلغ ذروتها عند نقطة نسميها العقدة، و بحلها نصل إلى خاتمة القصة و نهايتها.

4/الشخصيات : هم الأبطال ، هم مصدر الأعمال ، يخلقهم الكاتب على مسرح الأحداث ، وينيط بهم سير العمل القصصي فيتصرفون وفقا لسنن الحياة و بتصرفاتهم هذه يتفاعل القارئ معهم تفاعلا عاطفيا و فكريا و نفسيا و هناك نوعان :

شخصية جاهزة : تبقى على حالها من أول القصة حتى نهايتها و لا يحدث تغير كيانها فيها

شخصية نامية : تتكشف شيئا فشيئا و تتطور مع المواقف تطورا تدريجيا بحيث لا يتم تكوينها إلا بتمام القصة

5/الزمان و المكان : الصلة بينها وبين العمل القصصي ضرورية ، ومن ثم فلا بد لكاتب القصة من مراعاة أحوال الزمان و المكان ، ومن التقيد بالعادات و الأخلاق و فاقا لكل زمان و مكان، بحيث تصبح القصة حية ذات صلة بالواقع.

أنواع القصة الفنية :

أ/ الرواية : بالعودة إلى قواميس اللغة العربية لتحديد مفهوم الرواية نجد أن اللفظة تدل على التفكير في الأمر ، وتدل على نقل الماء و أخذه ، كما تدل على نقل الخبر و استظهاره ، ويسمى البعير راوية على تسمية الشيء باسم غيره لقربه منه ، و الرواية أيضا البعير أو البغل أو الحمار يسقى عليه الماء ، و للرجل المستسقي أيضا راوية ..و يقال روى فلانا شعرا إذا رواه له متى حفظه للرواية عنه ، ورويته الشعر ترويه أي حملته على روايته....

تشير إذن المدلولات اللغوية المشتركة للرواية إلى عملية الانتقال و الجريان و الارتواء المادي " الماء " و الارتواء الروحي " النصوص و الإخبار " .

وبالقدر الذي تبدو فيه الرواية معروفة ، فإن تعريفها ليس بالأمر الهين ، و رغم ذلك فإننا سنحاول التصدي لتعريفها باستعراض بعض التعاريف :

*هي رواية كلية شاملة موضوعية أو ذاتية ، تستعير معماريتها من بنية المجتمع ، و تفسح مجالا لتعايش الأنواع و الأساليب ، كما يتضمن المجتمع الجماعات و الطبقات المتعارضة .

من خلال التعريف نجد أن الرواية تتميز بـ:

-الكلية و الشمولية سواء في تناول الموضوعات أو في الناحية الشكلية

-قد تكون معبرة عن الفرد او عن الجماعة او عن الظواهر

-ترتبط الرواية بالمجتمع و تقيم معمارها على أساسه

-الرواية مثل المجتمع تتجاوز المتناقضات و تجمع الأشكال الأدبية.

*أما معجم المصطلحات الأدبية لفتحي إبراهيم فقد جاء فيه أن الرواية " سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث و الأفعال و المشاهد ، و الرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية و الوسطى ، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية ،وما صاحبها من تحرر للفرد من ربقة التبعية الشخصية

*هي قصة طويلة تعددت فيها الأحداث و الشخصيات ، واشتبكت فيها المصالح و دارت على مسرح الحياة الفسيح مستغرقة من الوقت ردحا طويلا ، ولم تصبح واقعية ذات هدف يعالج مشكلات الحياة إلا في العصور المتأخرة عندما انتشرت علوم الاجتماع و النفس ن و ارتقى الوعي في صفوف الناس .

ب/ القصة القصيرة : تمثل حدثا واحدا في زمان واحد قد يكون أقل من ساعة ، حديثة الظهور اكثر الأنواع رواجاً ، ومن أشهر كتابها : المازني و تيمور وإبراهيم المصري ، و تهدف غلى تصوير حدث متكامل له بداية ووسط و نهاية

ج/ الأقصوصة : أقصر من القصة القصيرة ، تقوم على رسم منظر ن لا تخضع لحبكة فنية ن همها الأوجد تصوير جانب من جوانب الحياة أو مشهد من مشاهدها في إيجاز لا يهدف إلا إلى إيصال تلك الفكرة الواحدة إلى القارئ.

المسرحية في الأدب العربي الحديث

تمهيد:

دارت مجموعة من التساؤلات حول علاقة العرب بالفن المسرحي لعلّ إثارته تعود إلى عدم وجود أدلة ملموسة في التاريخ العربي تؤكد وجود علاقة تربط العرب بالمسرح ، إذ خلا التاريخ العربي و الحضارة العربية التي ازدهرت في العصر العباسي من نص أو عرض تمثيلي يؤكد معرفة العرب بهذا الفن كما كان الحال عند الإغريق و قدامى الهنود و الصينيين .

ومع ذلك فقد تركت الحضارة العربية مجموعة من الظواهر و بعض الحكايات و المواقف المتناثرة في بعض الكتب المتفرقة و في أقوال الرواة المتناقلة عبر الأجيال ، تنبه إليها دارسوا المسرح المحدثون عندما أعادوا قراءة التراث العربي فأدى ذلك إلى خلق إشكالية تشعبت فيها الآراء بين مؤيد و ناص لعللاقة العرب القدامى بفن المسرح ، فريق يقول بعدم المعرفة و آخر يؤكدها ولكل فريق حججه:

الفريق الذي ينفي علاقة العرب بالمسرح قديما يمثله طه حسين و توفيق الحكيم ، أدلتهم في ذلك أن الشعر العربي غنائي لم ينفصل عن قائله ، وأن العرب لم يعرفوا حياة الاستقرار و طبيعة المجتمع العربي قديما البداوة ، و المسرح يقوم على التجارب وليس في مجتمع البداوة مجال لهذه التجارب .

الفريق المؤيد : استفاد الباحثون المسرحيون العرب من اكتشافات البحوث الأثرية التي دلّت على وجود نصوص درامية في مصر ليثبتوا أن المسرح أول ما نشأ في مصر القديمة قبل نشوئه عند الإغريق إلا أنه ظل في مصر القديمة مرتبطا بالدين ، بينما انفصل المسرح الإغريقي عن الدين وعن المعبد فكتب له طول البقاء، لذلك تعالت الأصوات التي تؤكد النشأة الأولى للمسرح في مصر القديمة في عهد الفراعنة ثم انتقل إلى بلاد الإغريق حيث تطور ليأخذ معالمه المعروفة ، ورأوا بأن المعجزة اليونانية ماهي إلا بلورة للتأثيرات الشرقية و المتوسطية ، ذلك أن البحوث الأثرية أثبتت أن الحوار قد ولد في مصر بين الألف الثاني و النصف الثاني من الألف الأولى قبل الميلاد .

وقد استعان الكثير من الباحثين ومنهم علي عقلة عرسان بكثير من الأدلة التاريخية و الاقتصادية لتعزيز هذه الفكرة مثبتين أن صلات التبادل التجاري و الثقافي كانت قائمة بين مصر و اليونان وأدى الاحتكاك بين البلدين إلى تبادل التأثير في الحياة الثقافية و الاجتماعية _التزاوج_ وفي العبادة الدينية مؤكداين _يوسف سامي اليوسف_ أن الفكر الفينيقي و المصري كانا رافدين من روافد الفكر اليوناني و أن تمجيد أوروبا

للحضارة اليونانية مردّه محاولة إثبات انتسابها إلى الأمة الإغريقية و التنكر لما جنته من الحضارة العربية.

وحتى_ و إن سلمنا_ بأن الإغريق على الأغلب قد تأثروا بالمسرح الذي كالتن معروفًا في مصر القديمة ، إلا أنهم لم يفتقوا عند حدود التأثير بل طوروا المسرح ، ففي الوقت الذي ظل في المسرح في مصر القديمة منعزلاً داخل أسوار المعابد كان المسرح في بلاد الإغريق يتطور و يخرج إلى الناس لذلك ازدهر عند الإغريق و انحسر في مصر القديمة .

أما المسرحيات في أدبنا العربي فالحق أنها لم تتأثر لا في نشأتها ولا في نموها بشيء من المسرحيات الفرعونية على فرض وجود تلك المسرحيات تاريخياً لأنه لا وجود لدليل على أن ذلك المسرح قد تجاوز نطاقه الديني إلى مسائل الإنسان على نحو ما كان عند اليونان منذ نشأة مسرحياتهم بعد انفصالها عن الشعر الغنائي.

بداية المسرح العربي الحديث و أشهر رواده :

يجد الباحث في تراث عصر النهضة الذي يرصده الدارسون مع بداية القرن التاسع عشر إشارات متفرقة في كتابات الرواد تتحدث عن أشكال مسرحية وفدت مع الغزو الفرنسي لمصر ، وقد أشار إلى ذلك جرجي زيدان بقوله : " أما التمثيل كما هو عند الإفرنج لهذا العهد فقد جاء مع حملة نابليون عند قدومه إلى مصر ... كان بين رجال حملته العلمية رجالان من أصحاب الفنون الجميلة و كبار الموسيقيين ، وقد مثلاً بعض الروايات الفرنسية بمصر لتسليّة الضباط ... لكن هذا كله ذهب بذهابهم و ليس هو في كل حال تمثيلاً عربياً".

ويتفق الدارسون و الباحثون على أن الذين بدأوا بوعي مسرحي عملية بناء مسرح عربي جديد هم ثلاثة من رواده المشهورين : مارون النقاش و أبو خليل القباني ويعقوب صنوع

مارون النقاش :

كان السبق الأول في ميدان المسرح العربي لسوريا منتصف القرن التاسع عشر ، وكان أول من بدأ المسرحيات العربية فيها هو مارون النقاش 1817-1855 و قد ساعده على ذلك ثقافته الواسعة _ إيطالية _ فرنسية _ تركية حيث أخذ عن الإيطاليين فن الإخراج و قدم على خشبة المسرح مسرحية " البخيل لموليير ، و استخدم فيها

الموسيقى و الجوقة ثم ملهاة " أبو الحسن المغفل " مأخوذة من ألف ليلة و ليلة ، ثم مسرحية " السليط الحسود" متأثرا فيها بمسرحية " الأمير الغيور" لموليير .

أبو خليل القباني :

إذا كان مارون النقاش رائدا للمسرح العربي من حيث زمن البداية فإن القباني هو الرائد الفعلي لمسرح عربي غير متأثر بالغرب ، وترجح الروايات و المراجع أن بديعة عمل القباني بالمسرح كان سنة 1865 و استمرت حتى هجرته إلى مصر سنة 1884 ، ويبدو أن القباني قد استفاد من بعض الفرق المسرحية الفرنسية التي قدمت من فرنس للشام فقدم مسرحية "ناكر الجميل" ثم مسرحية "وضاح"، و قدم في مصر مسرحيات كثيرة نذكر منها ك أنس الجليس " و " نفح الربى " و " عفة المحبين " و عنتر " وقوت القلوب " ، وظل يقدم مسرحياته في قالب نمطي مستمدا موضوعاته من التاريخ العربي مركزا على الموسيقى و الغناء و الرقص الجماعي .

يعقوب صنوع :

بدأ صنوع مسرحه في القاهرة سنة 1970 وكان آنذاك يشارك بعض الفرق الفرنسية و الإيطالية تمثيلياتها التي كانت تقدم في مقهى كبير في حديقة الأزبكية ، كان صنوع على معرفة بفن المسرح من زاوية نظرية ، وبدأ مسرحا تجريبيا حين قدم غنائية في فصل واحد جلبت إليها اهتمام كبار المسؤولين ، واستمر هذا الرجل في تقديم مسرحياته التي بلغت زهاء اثنتين و ثلاثين مسرحية لم يصلنا منها كما يروي الدكتور محمد نجم سوى مسرحية عربية واحدة هي " موليير مصر و ما يقاسيه " سنة 1912.

تطور المسرحية العربية في العصر الحديث :

كان أحمد شوقي أول من كتب المسرحية الشعرية في العصر الحديث ، فقد كتب علي بك الكبير ، ومصرع كليوباترا و قمبيز و مجنون ليلى و عنتره و الست هدى ...و قد كتبها كلها في أواخر العشرينيات ثم جاء عزيز أباضة و كتب بدوره قيس و لبنى و العباسة أخت الرشيد و شجرة الدر...

ويبدو أن اتصال شوقي بالأدب الفرنسي قد منحه فرصة الاطلاع على المسرحية الفرنسية ، وقد أثمر ذلك ما ألفه من تلك المسرحيات التي ذكرنا ، وقد اتجهت أغلب مسرحياته إلى التاريخ القديم تستلهم منه مادتها المسرحية محتذيا نهج الكتاب الكلاسيكيين الغربيين كراسين و كورناي .

أما حين بدأ التيار الواقعي في مسيرة المسرح العالمي واقترب من الحياة العادية حل النثر محل الشعر فيه ، ونضجت المسرحية النثرية على يد توفيق الحكيم ، وكانت مسرحية " الضيف الثقيل " أولى مسرحياته و موضوعها الاحتلال الإنجليزي ، و يمكن أن تصنف مسرحيات الحكيم في محورين : مسرح الحياة ، ومسرح الأفكار ، و قد ظهرت جل مسرحياته في الثلاثينيات و الأربعينيات ، فصدرت أهل الكهف سنة 1933، وشهرزاد سنة 1934 ، وبيجماليون سنة 1942، وسليمان الحكيم سنة 1943 ، وأوديب سنة 1949 ، وتابع نشاطه المسرحي في الخمسينات فكتب "الصفقة" و هي مسرحية اجتماعية ، وكتب " الأيدي الناعمة ، وهي مسرحية فلسفية اجتماعية .

وتشهد الأرض العربية اليوم حركة مسرحية متنامية في معظم الأقطار العربية نشطت بعد نشوء الجامعات و اهتمام الناس بالفن المسرحي ، وزيادة الوعي الفكري و الأدبي .

السمات الموضوعية و الفنية للمسرحية :

- المسرحية قصة تمثيلية تعرض فكرة أو موضوعا من خلال حوار يدور بين شخصيات مختلفة يبدأ في التطور حتى يصل قمة التعقيد ثم ينفرج .

- بخلاف القصة التي تكتب لتقرأ و تعتمد على السرد و الوصف ، تكتب المسرحية لتمثل، فهي تعتمد على الحوار ، والمسرحية تمثيل للحياة ، والممثل إنسان يمثل ما يشاهده و يحس به و يؤثر في وجدانه ليؤثر في بني جنسه ، لذلك يجب على المؤلف أن يبتعد عن الخوارق و الماورائيات التي تخالف طبيعة البشر .

-تتفق المسرحية و القصة في الحادثة و الشخصية و الفكرة و التعبير

-الصراع في المسرحية عنصر أساسي لا يقل أهمية عن الحوار و خير أنواع الصراع الذي يتطور و ينمو و يتأزم حتى يبلغ الذروة ، وهو نوعان داخلي و خارجي .

-الحكاية في المسرحية :هي القصة التي تحكي التجربة البشرية و يتجلى فيها الصراع بين قوتين

-الخلق :كل ما يتصف به الممثلون كل حسب دوره في الرواية من صفات تتفق و الفكرة العامة للمسرحية

-الفكرة في المسرحية :كل ما يقوله الممثلون لإثبات شيء يجب ان يكون متناسبا مع روح القصة ، أما العبارة فهي تلك التي يصوغ بها المؤلف تجربة المسرحية المؤثرة

في المشاعر .